

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٦١) [الأنعام: 61]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

هذا نوع آخر من الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وكمال حكمته. فلما حدثنا بيان الله تعالى في الآية السابقة عن النوم، وهو قهر للإنسان لا يستطيع أن يعيش بدونه، جاءت هذه الآية الكريمة ببيان ما يقهر الإنسان بأشد ما يكون عليه؛ وهو الموت، فالنوم والموت بخلق الله، وكلاهما ناطق بقهر الله عباده بهما، ولذلك "يرسل حفظة من الملائكة على العباد، يتعاقبون عليهم ليلاً ونهاراً، يحفظون أعمالهم، ويحسونها، ما داموا على قيد الحياة، ولا يفترطون في شيء منها، حتى إذا جاء أحدهم أجله، توفته ملائكة الموت الموكلون بذلك بإذن ربهم، وهم لا يقصرون فيما يوكل إليهم" (1).

المناسبة بين
النوم واليقظة،
ودور الحفظ في
توفي الأنفس

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْقَاهِرُ﴾: القهر: الغلبة والأخذ من فوق على طريق التذليل، و(قهره) (كمنعه) قهراً: غلبه. ويُقال: قهره: إذا أخذه قهراً من غير رضاه (2)، والقاف والهاء والراء كلمة صحيحة، تدل على غلبة وعلو، يُقال: قهره يقهره قهراً، والقاهر: الغالب، وهو اسم جليل من أسماء الله (3)، والقهار: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي يقصم ظهر الجابرة من أعدائه، فيقهرهم بالإماتة

(1) أسعد حومد، أيسر التفاسير، ص: 273.

(2) الربيدي، تاج العروس: (قهر).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قهر).

والإذلال، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: 16]⁽¹⁾، وقال ابن الأثير: "القاهر: هو الغالبُ جميعَ الخلقِ"⁽²⁾.

(2) ﴿وَيُرْسِلُ﴾: من رَسَلَ: الرَّاءُ وَالسَّيْنُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَرِّدٌ مُنْقَاسٌ، يُدْلُ عَلَى الانبِعَاثِ وَالامْتِدَادِ، وَالرَّسُولُ: هُوَ الَّذِي يُكَلِّفُ بَوْحِي مَنْ اللَّهُ تَعَالَى بِرِسَالَةٍ يُبَلِّغُهَا إِلَى مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِسُّ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ، وَهُوَ مِنْ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ: اسْتَرْسَلْتُ إِلَى الشَّيْءِ: إِذَا انْبَعَثَتْ نَفْسُكَ إِلَيْهِ، وَأَنْسَتْ بِهِ⁽³⁾، وَأُرْسَلْتُ فَلَانًا فِي رِسَالَةٍ، فَهُوَ مُرْسَلٌ وَرَسُولٌ... وَالرَّسُولُ أَيْضًا: الرِّسَالَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 16]، وَلَمْ يَقُلْ: رُسُلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ فِعْلًا وَفِعْلًا، يَسْتَوِي فِيهَا الْمَذْكُورُ وَالْمَوْثُوتُ، وَالوَاحِدُ وَالْجَمْعُ، مِثْلُ: عَدُوٌّ وَصَدِيقٌ⁽⁴⁾، وَ"الْإِرْسَالُ أَيْضًا: التَّوَجُّيْهُ، وَبِهِ فُسِّرَ إِرْسَالُ اللَّهِ ﷻ أَنْبِيََاءَهُ ﷺ، كَأَنَّهُ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ أَنْ أَتَوْا عِبَادِي، قَالَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ. وَالاسْمُ: الرِّسَالَةُ، بِالْكَسْرِ، وَالْفَتْحُ⁽⁵⁾.

(3) ﴿حَفِظَةً﴾: حَفِظَ: الْحَاءُ وَالْفَاءُ وَالظَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدْلُ عَلَى مُرَاعَاةِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: حَفِظْتُ الشَّيْءَ حِفْظًا، وَالْحِفْظُ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ تَقْفُدٍ، وَتَعَهُدٍ، وَرِعَايَةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [يوسف: 12]⁽⁶⁾، وَمِنْهُ الْآيَةُ الَّتِي مَعْنَاهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفِظَةً﴾، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ الْإِنْسَانَ، وَيَتَعَهُدُونَهُ بِالرِّعَايَةِ فِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَهُمْ الْمُعَقَّبَاتُ الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11]. وَالْحَفِظَةُ، مُحَرَّكَةٌ: الَّذِينَ يُحْصُونَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، وَيَكْتُبُونَهَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ الْحَافِظُونَ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَالْحَفِظَةُ: الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ⁽⁷⁾.

(4) ﴿لَا يُفْرِطُونَ﴾: فَرَطَ: الْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يُدْلُ عَلَى إِزَالَةِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانِهِ وَتَحْيِيَّتِهِ عَنْهُ، يُقَالُ: فَرَطْتُ عَنْهُ مَا كَرِهَهُ؛ أَيِ: نَحَيْتُهُ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ. وَالتَّفْرِيطُ:

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (قهر).

(2) الرُّبَيْدِيُّ، تاج العروس: (قهر).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رسل).

(4) الجوهري، الصحاح: (رسل).

(5) الرُّبَيْدِيُّ، تاج العروس: (رسل).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حفظ).

(7) الرُّبَيْدِيُّ، تاج العروس: (حفظ).

هو التَّقصيرُ؛ لأنَّه إذا قَصَّرَ فيه فقد قَعَدَ به عن رُتَبَتِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ (1).
 ”وَفَرَطُ فِي الشَّيْءِ، وَفَرَطُهُ: ضَيَّعَهُ وَقَدَّمَ الْعَجَزَ فِيهِ، وَفِي التَّنْزِيلِ:
 ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنَبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ
 السَّخِرِينَ﴾ (٥٦) [الزمر: 56]؛ أَي: مَخَافَةً أَنْ تَصِيرُوا إِلَى حَالِ النَّدَامَةِ
 لِلتَّفْرِيطِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَالطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ اللَّهِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ،
 وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ، وَالْإِقْرَارُ بِنُبُوَّةِ رَسُولِهِ (2).

والمعنى المرادُ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾؛ أَي: أَنْ الرُّسُلَ،
 وَهُمْ هُنَا الْمَلَائِكَةُ، لَا يُقْصِرُونَ وَلَا يَتَخَفُونَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، فِي قَبْضِ
 أَرْوَاحِ الْعِبَادِ.

❖ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

يُخْبِرُ اللَّهُ ﷻ عِبَادَهُ بِأَنَّهُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ، وَيُرْسِلُ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةً
 تَحْفَظُهُمْ مِنَ الْآفَاتِ، وَيَحْفَظُونَ كَذَلِكَ أَعْمَالَهُمْ، حَتَّى إِذَا قَدَّرَ اللَّهُ
 الْمَوْتَ عَلَى أَحَدِهِمْ، تَنَحَّتِ الْحَفْظَةُ، وَجَاءَتْ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ لَتَقْبِضَ
 رُوحَهُ دُونَ أَيِّ تَقْصِيرٍ فِي تَنْفِيزِ أَمْرِ اللَّهِ ﷻ، وَمَهْمَتُهُمْ إِحْصَاءُ
 الْأَعْمَالِ مُدَّةَ الْحَيَاةِ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى الْأَجَلُ، وَحُمِّ الْقَضَاءُ، وَجَاءَتْ
 أَسْبَابُ الْمَوْتِ وَمُقَدِّمَاتُهُ، تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ، وَلَا
 يُقْصِرُونَ بِزِيَادَةِ فِي الْأَوَامِرِ، أَوْ نَقْصَانِ فِي التَّعْلِيمَاتِ (3).

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

الْعَطْفُ يُبَيِّنُ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، فِي الْحَيَاةِ، وَعِنْدَ الْمَمَاتِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، عَطِفَتْ عَلَى جُمْلَةٍ: ﴿وَهُوَ
 الَّذِي يَتَوَفَّاكُم﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿الْقَاهِرُ﴾؛ أَي: الْغَالِبُ الْمُكْرَهُ الَّذِي لَا يَنْفِلُتُ
 مِنْ قُدْرَتِهِ مَنْ عُدِّيَ إِلَيْهِ فَعَلَ الْقَهْرَ مِنَ الْآلِهَةِ الْمَزِيْمَةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا

يُرْسِلُ اللَّهُ
المَلَائِكَةَ؛
لِإِحْصَاءِ
الأَعْمَالِ، وَقَبْضِ
الأَرْوَاحِ

توكيل تنفيذ قدر
الله إلى الملائكة
الأطهار

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرط).

(2) ابن سيده، المحكم 9/157.

(3) الحجازي، التفسير الواضح، ص: 622.

كثيرٌ مِنَ النَّاسِ آلهةٌ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ، كَالْأَصْنَامِ وَالْبَشَرِ وَالْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا عُبِدَ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْ مَعَ اللَّهِ، وَقَدْ جَاءَ الْعُطْفُ لِبَيَانِ قُدْرَةِ اللَّهِ الْغَالِبِ، فَيُؤَكِّدُ لَهُم أَنَّهُ الْمُسْتَغْنَى بِسُلْطَانِهِ عَلَى عِبَادِهِ، حَيْثُ يَرْسُلُ عَلَيْهِم مَلَائِكَةً، يُحْصُونَ الْأَعْمَالَ، إِلَى أَنْ تَجِيءَ الْأَجَالُ، فَتُقَبَّضَ الْأَرْوَاحُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمَكْلُفِينَ بِذَلِكَ، وَهُمْ لَا يُقْصِرُونَ فِيمَا يُوَكَّلُ إِلَيْهِمْ مِنْ مَّهَامٍّ، وَلَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ، فِي الْبَدْءِ، وَلَا فِي الْخَتَامِ⁽¹⁾.

دلالة أسلوب القصير على مطلق قهره سبحانه، ونفاذ مراحده في خلقه:

قَهْرُ الْقَاهِرِ لَا
يُغَالِبُ بِأُسْهِ،
وَلَا يُتَّقَى بِطُشْهِ

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، معنى "القاهر هو المتحكِّمُ بِقُدْرَةٍ فَائِقَةٍ مُحِيطَةٍ مُسْتَوْعِبَةٍ"⁽²⁾، وقد أفاد تعريف الجزأين، في الضمير المنفصل المبني (هو)، و(اللام) في قوله: (القاهر)؛ القَصْرُ؛ أي: لا قاهر إلا هو ﷻ؛ لأنَّ قهر الله تعالى هو القهر الحقيقي الذي لا يجدُ المقهورُ منه مَلَاذًا؛ لأنَّه قهرٌ بأسبابٍ لا يستطيع أحدٌ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يُدَافِعَهَا؛ ومنها ما يُشَاهَدُ دَوْمًا كَالنَّوْمِ وَالْمَوْتِ، ففي القهر معنى زائدٌ ليس في القُدرة، وهو منعُ غيره من بلوغِ المراد، "فالنَّوْمُ قَهْرٌ؛ لأنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَرِيدُ أَنْ لَا يَنَامَ، فَيُغْلِبُهُ النَّوْمُ، وَالْمَوْتُ قَهْرٌ؛ وهو أَظْهَرُ، وَمِنَ الْكَلِمِ الْحَقُّ: سَبْحَانَ مَنْ قَهَرَ الْعِبَادَ بِالْمَوْتِ"⁽³⁾.

دلالة الاستعارة التمثيلية، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾:

قَدَّرَ اللَّهُ لَا
مَفْرَ مِنْهُ، وَلَا
مَنْدُوحَةً عَنْهُ

لفظُ ﴿فَوْقَ﴾ ظرفٌ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿الْقَاهِرِ﴾، وهو استعارة تمثيلية لحالة القاهر، بأنَّه كَالَّذِي يَأْخُذُ الْمَغْلُوبَ مِنْ أَعْلَاهُ، فَلَا يَجْدُ مُعَالَجَةً، وَلَا حَرَاكًا، وهو تمثيلٌ بديعٌ، ومنه قوله تعالى حكايةً عن

(1) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 182.

(2) الشَّعْرَاوِيُّ، تفسير الشَّعْرَاوِيِّ، ص: 182.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/277.

فرعون: ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ فَهُمْ رَبٌّ﴾ [الأعراف: 127]، ولا يَفْهَمُ من هذا جهةً، كما قد يُتَوَهَّمُ، تنزَّهَ اللهُ تعالى عن الجهات، ويكونُ معنى القهرِ فوقَ العباد: أنَّه تعالى خالقُ ما لا يدخلُ تحتَ قُدْرِهِم، بحيث يوجِدُ ما لا يُريدونَ وجودَه كالموتِ، ويمنعُ ما يُريدونَ تحصيلَه كالولَدِ للعقيم⁽¹⁾، وعلى ظاهر اللفظ: "يَصْحُحُ أَنْ تُجْعَلَ ﴿فَوْقَ﴾ ظرفيةٌ للجهة؛ لأنَّ هذه الأشياءَ، إنَّما تعاَهَدَها العبادُ من فوقِهِم، وإنَّ أخذَ القاهرِ صفةَ ذاتٍ، بمعنى القُدرةِ والاستيلاءِ، فـ ﴿فَوْقَ﴾: لا يجوزُ أَنْ تكونَ للجهة، وإنَّما هي لعلوِّ القَدَرِ والشَّانِ"⁽²⁾.

عَطَفَ الْقَصْرِ عَلَى سَابِقِهِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾:
قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿الْقَاهِرِ﴾، فَيُعْتَبَرُ أَيْضًا بِقَرِينَةِ الْمَقَامِ؛ أَي: الْقَاهِرُ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً دُونَ غَيْرِهِ، وَالْقَصْرُ هُنَا حَقِيقِيٌّ، حَيْثُ لَا يَسْتَدْعِي رَدَّ اعْتِقَادٍ مُخَالِفٍ؛ وَفِي هَذَا الْإِعْلَامِ تَحْذِيرٌ لِلْسَّامِعِينَ مِنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْحَفَظَةَ: "يَحْفَظُونَ عَلَيْكُمْ كُلَّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، لَتَسْتَحْيُوا مِنْهُمْ، وَتَخَافُوا عَاقِبَةَ كِتَابَتِهِمْ. وَيَقُومُ عَلَيْكُمْ بِشَهَادَتِهِمُ الْحُجَّةُ عَلَى مَجَارِي عَادَاتِكُمْ، وَإِلَّا فَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ الْعَالِمُ الْقَادِرُ، فَيَحْفَظُونَكُمْ عَلَى حَسَبِ مُرَادِهِ فَيْكُمْ"⁽³⁾، وَفِي هَذَا الْبَيَانِ حِكْمَةٌ جَلِيلَةٌ وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، فَعِنْدَ مَا يَعْلَمُ الْمَكْلُفُ أَنَّ أَعْمَالَهُ تُحْفَظُ، وَتُضَبَّطُ عَلَيْهِ، وَتُسْتَعْرَضُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ سَيَنْزَجِرُ عَنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَإِلَّا فَإِنَّهُ إِنْ رَكَنَ إِلَى عَفْوِ سَيِّدِهِ، وَأَمِنَ عَقُوبَتَهُ، فَإِنَّهُ سَيَسْتَمِرُّ فِي الْغَوَايَةِ، وَيَتِمَادَى فِي الضَّلَالَةِ، وَهِيَ هَاتِ هَاتِ أَنْ يَرْعَوِي، أَوْ يَعُودَ إِلَى رُشْدِهِ.

إِزْسَالُ الْحَفَظَةِ
الْكَرَامِ، حُجَّةُ
اللَّهِ عَلَى الْإِنَامِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 164 - 7/165.

(2) النَّعَالِي، الجواهر الحسان 2/475.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/139.

المُغَايَرَةُ
بين الصِّفَاتِ
الإلهية وصفاتِ
المخلوقين

قَهْرُ الله يَطْأَلُ
كُلَّ البَشَرِ،
وَيَسْتَوْفِي مَا
بَطْنُ وما ظَهَرُ

دلالة عطف الفعل على الاسم، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ ﴿وَيُرْسِلُ﴾:

في ذِكْرِ الصِّفَةِ الإلهيةِ بالجملةِ الاسميةِ بأسلوبِ القصرِ تأكيدٌ على كونها صفةً ثابتةً، وفي العطفِ عليها بقوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾، فلم يكن: والمرسلُ عليكم حفظةً؛ تنبيهاً على تجددِ فعلِ المرسلين، وتنويعهم، وتغييرهم، وكثرتهم، وهم مخلوقون، واختلاف الأحوال شأنهم وصفتهم.

دلالة حرف الاستعلاء (على) في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾:

تظهر هنا أهمية استخدام البيان الإلهي للحرف (على) الذي يُفيد هنا الاستعلاء المجازي، وهو متعلق بـ ﴿وَيُرْسِلُ﴾؛ أي: إرسال قهر وإلزام، فهذا الاستعلاء فيه معنى العلو والقهر، وتقديمه على المفعول الصريح ﴿حَفَظَةً﴾؛ لمزيد الاعتناء بالمقدم، والتشويق إلى المؤخر، ويمكن أن يكون متعلقاً بمحذوف، هو حال من ﴿حَفَظَةً﴾، إذ لو تأخر لكان صفة؛ أي: كائنين عليكم، ويمكن كذلك أن يكون متعلقاً بـ ﴿حَفَظَةً﴾، والمحفوظ محذوف على كل حال؛ أي: يُرسل عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم كائنة ما كانت⁽¹⁾، ونفط (على) يوحي بمعنى المرافقة الدائمة، والرقابة على الأفعال، خيرة كانت أم شريرة، ولذلك كان قهره مُستغرقاً كل البشر، مؤمنهم وكافرهم، قال القمي: "وهو القاهر بوصف الجلال للأولياء، قهار بوصف الجبروت للأعداء"⁽²⁾، وقد يؤوّل على أنه متعلق بقوله: ﴿وَيُرْسِلُ﴾، ومنه: ﴿يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ﴾ [الرحمن: 35]، والثاني: أنه متعلق بـ ﴿حَفَظَةً﴾، يُقال: (حَفِظْتُ عليه عمله)، فالتقدير: (ويُرسل حَفَظَةً عليكم يحفظون أعمالكم)، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الأنفطار: 10]، و﴿عَلَيْكُمْ﴾ هو الخبر، لقوله: ﴿وَإِنَّ﴾، فيتعلق بمحذوف،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/223 - 224.

(2) القمي، غرائب القرآن وרגائب الفرقان: 3/100.

والثالث: أنه متعلقٌ بمحذوفٍ على أنه حالٌ من ﴿حَفَظَةً﴾، إذ لو تأخر لجاز أن يكون صفةً لها⁽¹⁾.

دلالة ﴿حَتَّى﴾ على الغاية، في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾:

قوله: ﴿حَتَّى﴾ غايةٌ لما بعدها، وهي الجملة الشرطيَّة، في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾، وهو متعلقٌ بـ (الحَفَظَةُ) الذين يُحصون أعمالَ العبادِ ويضبطونها؛ أي: فينتهي الإحصاءُ بالموتِ، فإذا جاء وقتُ انتهاءِ أجلِ الحياةِ الدنيا، توفَّته ملائكةُ الموتِ المكلفون بقبضِ الأرواحِ.

والسَّيَاقُ يقتضي أن لكلِّ واحدٍ من النَّاسِ عددًا من الملائكة يتولَّون قبضَ روحِهِ⁽²⁾، ومعنى قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، أن ﴿حَتَّى﴾: "هنا للغاية، والمعنى المراد: أن هذه الحال، سوف تستمرُّ، حتَّى يجيءَ أحدهم الموتُ"⁽³⁾، فهي إنذارٌ بأن أفعالَ كلِّ بشرٍ، هي تحت المجهرِ، وأن الرِّقَابَةَ دائمةً لا تفتُرُ، فعلى النَّاسِ أن يحسبوا حسابًا للعُقُوبِ، وأن يعلموا أنَّ الغايةَ في المنتهى؛ هي هجومُ الموتِ بغتَةً على الإنسانِ، فلا يجدُ منه فرارًا، ويجدُ ما عَمَلَ من عملٍ مُحضَرًا، وهناك لا ينفعُه مالٌ ولا بنون، قال الألوسي: "و﴿حَتَّى﴾ في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾، هي التي يُبتدأُ بها الكلامُ، وهي مع ذلك تجعلُ ما بعدها من الجملةِ الشرطيَّةِ غايةً لما قبلها، كأنه قيل: (ويرسلُ عليكم حفظةً، يحفظون ما يحفظون منكم مُدَّةَ حياتكم، حتَّى إذا انتهت مُدَّةُ أحدكم، وجاءت أسبابُ الموتِ ومباده، توفَّته رسلُنا الآخرون، المفوضُ إليهم ذلك، وانتهى هناك حَفَظُ الحَفَظَةِ)"⁽⁴⁾.

كلُّ لَدَّةٍ في
الحياةِ تنتهي
بلحظةٍ للماتِ

(1) السمين، الدَّرُّ للصون: 4/666.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 7/278.

(3) أبو زهرة، زهرة التِّفَاسِيرِ: 5/2528.

(4) طنطاوي، الوسيط: 5/93.

دلالة ورود المضاف المشتق ﴿رُسُلَنَا﴾ في قُوَّةِ النَّكْرَةِ:

ملائكة تنفيذ
التدبير، غير
ملائكة إنفاذ
التقدير

قوله: ﴿رُسُلَنَا﴾ في قُوَّةِ النَّكْرَةِ؛ لأنَّ المضاف مُشْتَقٌّ فهو بمعنى اسم المفعول، فلا تُفِيدُهُ الإضافة تعريفاً، ولذلك فالمراد من الرُّسُلِ الَّتِي تَتَوَفَّى العباد رُسُلٌ غيرُ الحَفَظَةِ المرسلين عليهم، بناءً على الغالب في مجيء نكرة عَقِبَ نكرة أنَّ الثانية غيرُ الأولى⁽¹⁾، و"هؤلاء الرُّسُلُ هم أعوانُ ملك الموت، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّلَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الشَّجَّة: ١١]، قال ابن عباس وغيره: لملك الموت أعوانٌ من الملائكة، يُخرجون الرُّوحَ من الجسد، فيقبضُها ملك الموت، إذا انتهت إلى الحُلُوم"⁽²⁾.

تعلُّق الفعل بالضمير، في قوله تعالى: ﴿جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾:

لا مَنجى من
هاذم الذات،
وَمُفَرَّقٍ
الجماعات

قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ﴾ عائدٌ لضمير ﴿أَحَدَكُمْ﴾ الذي هو في معنى الذات، وهو دليلٌ على أنَّ استيفاء حياة الإنسان وختمتها يكون بقبض روحه في الوقت المقدَّر بأمر الله⁽³⁾، وكون الضمير المتصل بالفعل دالاً على مَنْ قُصِدَ بالوفاة، وهو ﴿أَحَدَكُمْ﴾، فإنَّ الموت سوف يطال كلَّ أحدٍ، ولا ينجو منه أحدٌ، لكنَّ المعاناة تتجدد لدى البشر بتجدد الأدوار، على سبيل الإلزام لا على سبيل الاختيار، حيث تتوفَّى الملائكة، من استنفد أجله، وحانت منيته، فيقومون بقبض روحه في لحظة التقدير، من غير تقديم ولا تأخير؛ وفي تقديم المفعول به على الفاعل (أحدكم الموت) قَصْرٌ مجيء الموت على المقصود به دون سواه تنبيهاً على حتمية الآجال؛ وفي إسناد المجيء إلى الموت مجازٌ عقليُّ يراد منه تأكيد حدوثه، وكأنَّه جاء بنفسه، والحقيقة أنَّ الذي يأتي هم الملائكة الموكِّلون بقبض الأرواح.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/278.

(2) الرِّحِيلِي، التفسير المنير: 7/231.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/278.

توجيه المعنى وفقاً لاختلاف القراءة القرآنية في قوله تعالى: ﴿تَوَفَّهٗ﴾:

قوله تعالى: ﴿تَوَفَّهٗ﴾، وردت فيه قراءتان⁽¹⁾: الأولى: ﴿تَوَفَّهٗ﴾ بالتاء على تأنيث الجماعة. والثانية: (تَوَفَّاهُ)، بألفٍ مُحَالَةٍ على إرادة الجمع، وهذه القراءة تحتمل وجهين: الأول، وهو أظهرهما: ماضٍ، وإنَّما حذف تاء التَّأْنِيثِ لسببَيْن: أحدهما: كونه تأنيثاً مجازياً، والثاني: أنَّه مضارع، وأصله تتَوَفَّاهُ بتاءَيْن⁽²⁾، وقرأ الأعمش: (يَتَوَفَّاهُ) مُضَارِعاً بِيَاءِ الْغَيْبَةِ، اعتباراً بكونه مؤنثاً مجازياً، أو للفصل، وقال أبو البقاء: وقرئ شاذاً (سَتَوَفَّاهُ) على الاستقبال، ولم يذكر بياء، ولا تاء⁽³⁾، وهذا التنوع في القراءات القرآنية، يفسح المجال واسعاً، لانقذاح الذهن عن معانٍ متنوعةٍ قد يرتضيها العقل، وتقبلها قواعد اللغة، وتأنس لها أصول التفسير، وقد تكون القراءة شاذةً فترفضها وتُجَانِفُهَا، وهذا بذاته ثراءٌ كبيرٌ في هذا المضمار العلمي والذوقي، المنفتح على أصول المعرفة القرآنية وتطبيقاتها.

بلغة القيد بالحال في الإبانة، في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾:

فجملته: ﴿وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ تحتمل وجهين، أظهرهما: أنَّه: حالٌ؛ أي: والحال أنَّ ملائكة الموت لا يُقَصِّرُونَ في العمل المناطِ بهم، فهم لا يتوانون في قبض أرواح العباد عند حلول أجلها، ولا يتركون أيًّا منها قد حان أجله. والثاني: أنَّها استئنافيةٌ، سيقَّت للإخبار عنهم بهذه الصفة⁽⁴⁾، وكونها جملةً حاليةً أقرب إلى مدلول السياق؛ والجمهور على التشديد في قوله: ﴿يُفْرِطُونَ﴾؛ ومعناه: لا يُقَصِّرُونَ⁽⁵⁾..

فهْمُ القراءة
القرآنية، لا بدَّ
أن يتطابق مع
وجهٍ في العربية

الحفظة جنس
عابد لطيف، لا
يفرط في أمر ولا
تكليف

(1) الأولى: قراءة الجمهور، والثانية: قراءة حمزة. يُنظر: ابن الجزي، النشر: 2/258، ويُنظر: العكبري،

إملاء ما به الرحمن: 1/245.

(2) السمين الحلبي، الدُّرُ للصون: 4/667.

(3) ابن عادل الدمشقي، اللِّبَاب في علوم الكتاب: 8/197.

(4) السمين الحلبي، الدُّرُ للصون: 4/667.

(5) "قال الزمخشري: (فالتفريط: التواني والتأخير عن الحد، والإفراط مجاوزة الحد؛ أي: لا ينقصون ممَّا أمروا به، ولا يزيدون). والثاني: أنَّ معناه لا يتقدمون على أمر الله، وهذا يحتاج إلى ثقل أنْ (أفَرَطَ) بمعنى (فَرَطَ)، أي: تقدَّم. قال الجاحظ قريباً من هذا، فعنه قال: (معنى لا يُفَرِطُونَ: لا

❁ الفروق المُعْجِمِيَّة:

القاهر والعزیز والقادر:

القَهْرُ أَعْمٌ مِنَ
العِزَّةِ، والقُدْرَةُ
أَشْمَلُ مِنْهُمَا

العزیز: الغالب الذي لا يفوته شيءٌ، ولا يُعْجِزه شيءٌ، والصفةُ بعزیزٍ لا تتضمنُ معنى القَهْرِ، والصفةُ بقاهرٍ تتضمنُ معنى العِزِّ، يُقال: قَهَرَ فلانٌ فلاناً، إذا غلبه وصارَ مُقْتَدِرًا على إنفاذِ أمره فيه⁽¹⁾، وعَزَّ فلانٌ؛ أي: صارَ عزيزًا؛ أي: قويَّ بعد ذلَّةٍ، وأعزه الله، وعزَّزْتُ عليه أيضًا: كَرَّمْتُ عليه⁽²⁾، ومن أسماءِ الله تعالى (العزیز)، وهو الغالبُ القويُّ الذي لا يُغْلَبُ⁽³⁾.

والعِزَّةُ: حالةٌ مانعةٌ للإنسانِ من أن يُغْلَبَ، وهي يُمَدِّحُ بها تارةً، ويُذَمُّ بها تارةً، كعِزَّةِ الكفار: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٥١﴾ [ص: 2]⁽⁴⁾، وأمَّا القُدْرَةُ فتكونُ على صغيرِ المقدورِ وكبيره، وأمَّا القَهْرُ فيدلُّ على كِبَرِ المقدورِ، لهذا يُقال: مَلِكٌ قاهرٌ إذا أريدَ المبالغةُ في مدِّحه بالقُدْرَةِ، ولا يُقالُ في هذا المعنى: مَلِكٌ قادرٌ؛ لأنَّ إطلاقَ قولنا: قادرٌ، لا يدلُّ على عظيمِ المقدورِ، كما يدلُّ عليه إطلاقُ قولنا: قاهرٍ⁽⁵⁾، وممَّا تقدَّم يتبيَّن أنَّ استخدامَ البيانِ الإلهيِّ لاسمِ (القاهرِ) أقوى في دلالةِ قَهْرِ اللهِ على عباده، وغلبتهِ عليهم، وعظمتِ مقدوره، وقُدْرته على إنفاذِ أمره فيهم.

الإرسال والبعث:

البعثُ فيه
معنى الحركةِ،
والإرسالُ أخصُّ
منه

البعثُ يأتي بمعانٍ عدَّةٍ، منها: الإحياءُ: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ لما فيه من إثارتهم وتحريكهم، فمعناه مرتبطٌ بالإثارة والتحريك، وهو

يدعون أحدًا يَفْزَعُ عنهم؛ أي: يَسْبِقُهُمْ ويفوتهم)، وقال أبو البقاء: (ويقْرَأُ بالتخفيف؛ أي: لا يزيدون على ما أمروا به، وهو قريبٌ ممَّا تقدَّم). النَّصُّ من ابنِ عادلِ الدَّمَشَقِيِّ، اللُّبَابُ في علومِ الكتاب: 8/198.

(1) العسكري، الفروق، ص: 358.

(2) الجوهري، الصحاح: (عز).

(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: 3/228.

(4) الرُّبَيْدِيُّ، تاج العروس: (عز).

(5) العسكري، الفروق اللُّغَوِيَّة، ص: 421.

يُستخدَمُ بمعنى الإرسالِ المقتَرِنِ بالتَّحريكِ والإثارةِ، فالمعنى المحوريُّ: إثارةُ الحيِّ - من مكانٍ - يلزمُه بقوةٌ، فيندفعُ ناهضاً أو مُبتعداً، والبعثُ: الإثارةُ والدَّفْعُ نحو عملِ شيءٍ ما، والبعثُ: إنهاضٌ بعد موتٍ مؤقتٍ، والرَّسولُ ينطلقُ من طَرَفٍ مَنْ أرسَلَه برسالةٍ متميِّزةٍ عنه؛ أي: ليس هو مُنشئُها⁽¹⁾، والإرسالُ مختصٌّ بمن كان معه رسالةٌ أو تكليفٌ، واستُخدمَ هنا لأنَّه الأنسبُ بالسياقِ.

(1) جبل: العجم الاشتقاقِيّ للوَصْلِ: (بعث - رسل).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 11، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-63-7

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 11: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-798-63-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»